الرؤيا وأثرها في حركة التاريخ الاسلامي
من القرن الرابع وحتى القرن السابع الهجري دراسة تحليلية تاريخية

م. م. علي عناد عاشور
مديرية تربية الديوانية
LLy766566@gmail.com

الخلاصة:
منذ مطلع القرن الرابع الهجري كانت الدولة العباسية تمر بأزمات سياسية متعددة بدت وكأنها بوادر لأفولها فتقلصت مساحتها الجغرافية التي كانت في يوم تمتد على قارات العالم الثلاث (آسيا- افريقيا – اوربا) ثم صارت لا تسيطر الا على العراق وبعض الاقاليم المجاورة الا ان هذا الانحسار السياسي رافقه طغيان ثقافي هائل امتد لكل ارض دخلها الاسلام واضعاً بصمته بقوة على كل ما اتصل بالتعاليم الاسلامية.

كانت الرؤيا من بين ابرز العناوين التي عكست الثقافة الاسلامية بما اشتملت عليه من مواضيع تنوعت بين الايمان المطلق بالله واليوم الآخر والبعث والحساب والقضاء والقدر يضاف الى ذلك تقديس شخص الرسول(ص) وآل بيته(ع) وهي بالجملة مواضيع كان المسلمون ينظرون اليها بعين التقديس والاجلال يضاف الى ذلك وجود رغبة فطرية عارمة لدى الانسان لمعرفة ما يخفيه عنه الغيب من خير او شر وكشفه من خلال الرسائل التي يرسلها الله في الرؤيا وبتعاقب القرون على ذلك تعززت قناعة المسلمين بالرؤيا وتعاملوا معها على انها اشارات ربانية وهبها الله لهم ليطلعهم على طرفٍ من الغيب بما يتماشى مع اصلاح المسار العام لكل فرد منهم، ومن هذا الباب صار للرؤيا رصيداً دينياً وثقافياً يصعب انكاره حتى بدت وكأنها اشتركت في النسيج المعقَد لأسباب بعض الاحداث التاريخية.

الكلمات المفتاحية : الرؤى التبشيرية، الرؤى التحذيرية، رؤيا اهل البيت في المنام.

The vision and its impact on the movement of Islamic history From the fourth century to the seventh century AH, a historical analytical study

Assist. Lect. Ali Anad Ashour
Diwaniyah Education Directorate
LLy766566@gmail.com

Abstract

Since the beginning of the first century AH, the Abbasid state was going through multiple political crises, and it faced signs of its demise, so its geographical area, which was in the three parts of the world (Asia - Africa - Europe) shrank, accompanied by a massive cultural tyranny that extended to every land that Islam entered, putting its mark strongly on contact with Islamic teachings.

The vision was among the most prominent titles that reflected the Islamic culture, including topics that varied between the absolute other belief in God, the

day, the day, the reckoning, the judiciary, and destiny, in addition to that with consideration with convergence and reverence. A vision and a vision that has a good relationship with a vision that He gave them on the side of the unseen. He becomes with the public to fix the general path, and a table of them, and from this volume, Qasim, Qasim, the origin of Qasim, the origin of Qasim, the origin of some historical events.

Key Word: Missionary visions, warning visions, seeing the Ahl Al-Bait in a dream.

المقدمة:

كان المستوى الثقافي الذي بلغته المجتمعات الاسلامية منذ مطلع القرن الرابع الهجري وما تلاه قد بلغ درجات متفاوتة تبعاً للتفاوت الاقتصادي الكبير بين طبقات المجتمع الذي كان هو الاخر منقسم على نفسه من حيث التنوع الديني والعرقي، يضاف الى ذلك العوامل المساعدة الاخرى التي عملت عمل الاكسير المغذي لتفاوت تلك الثقافات واهمها تنوع وتعدد المذاهب الدينية من جهة، والثقافات الدخيلة على المجتمع الناتجة عن احتكاكه بالمجتمعات الاخرى سواء عن طريق الحروب او التجارة، فضلاً عن الترجمة التي لعبت دوراً هاماً في نقل ارث امم كان لها السبق بالتعامل مع سلوكيات الانسان سواء كانت حسية او غير حسية من جهة اخرى، والغريب الملفت في الامر ان وجود هذا التفاوت الثقافي رافقه ظهور رغبة عارمة لدى اغلب طبقات المجتمع في الاقبال على العلوم الغيبية والاحتكام اليها بشكل يثير الدهشة، ولعل سبب ذلك يعود الى أمرين: الأول هو بروز جماعات من رجال الدين وطلاب العلم او الاثرياء و الساسة وغيرهم ممن يُشد لهم الرحال وما رافق ذلك على الدوام من خلق طبقة اجتماعية لها ما لها من مكانة خاصة ومنزلة رفيعة لدى العامة، والثاني هو الفوارق الشاسعة الموجودة أصلاً بين طبقات المجتمع التي جعلت من اصحاب الطبقات الدنيا ممن هم من عامة الناس ينظرون بعين الحسد الى اصحاب الطبقات العليا ثم محاولتهم تقليدهم للوصول الى الشهرة ولكن بطرق مختصرة توفر عليهم العناء والمشقة التي بذلها اصحاب الطبقة العليا حتى نالوا تلك الشهرة وذاك الصيت، وهذه الطرق ماهي الا التعرَف الى الغيب واستشعاره عن طريق احدى اساليبه (التي صارت اليوم محط سخرية وتسفيه لدى الكثيرين) واشهر تلك الطرق الرؤيا التي صار لها شأناً يتهافت عليه الجميع لمعرفة تأويله وقراءة رسائله، ويتضح ذلك جلياً فيما اشار اليه ابن خلدون "(١) بقوله:" اعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر، سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها. والتطلع إلى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها. ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام. والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة. وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم، ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه. وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم بها، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم، ومدة بقاء الدولة، وعدد الملوك فيها، والتعرض لأسمائهم، ويسمى مثل ذلك الحدثان...".

وبسبب وجود الحاضنة الطبيعية للرؤيا المتمثلة برغبة كل انسان بمعرفة ما يخبئه المستقبل له من خيرٍ اوشر مكنونة اشاراته برموز تجمعها رؤيا لذلك سعى جاهداً للاهتمام بها وشغل باله بشكلٍ محموم في تأويلها، وهذا ما دفع بعض الموسوعيين الى تسليط الضوء عليها من خلال تعريفها وسرد اسباب حدوثها، ومنهم المسعودي حيث ذكر ما نصَه(٢):" قال فريق آخر: إذا بطل استعمال النفس للحواس

ظاهراً لم يبطل استعمالها في نفسها، ولم يبطل استعمال قواها، فتنتقل في الأماكن، وتشاهد الأشخاص بالقوة الروحانية التي ليست بجسم، لا بالقوة الجسمانية الغليظة، وذلك أن القوة الجسدانية لا تدرك إلا بمشاركة وملامسة الأشياء: إما باتصال كاتصال اللون من الملون وإما بانفصال كانفصال الجسم من الأماكن، والروح تحرك المتصل والمنفصل جميعاً، لا بمشاركة الجسد الذي يوجب الحاجة إلى قرب المدرك، ومنهم من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه إلى الكبد. ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح".

أما ابن خلدون فقد كان تعليله لأسباب الرؤيا اكثر دقة حيث قال(٣):" ... ومنهم من رأى أن النفس تحرك صورة الأشياء على ضربين: أحدهما حس والأخر فكر؛ فالصورة المحسوسة لا تحركها إلا في هيئتها؛ فإذا تخلص علمها عندها كان إدراكها مفرداً من طبعها؛ فيكون فكر الإنسان ما لم يتم تابعاً للحس، حتى إذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التي أخذتها من أعيان الأشياء فيها قائمة كأنها محسوسة؛ لأن الحس بها في أعيانها كان قبل استيلائها بالفكر ضعيفاً، فلما ارتفع الحس قوي الفكر فصار يُصَوِّر الأشياء كأنها محسوسة يخطر على بال النائم منها كما يخطر على باله إذا كان يَقْظَان الشيء الذي قد كان أنيسه، وليس لذلك نظام، وإنما هو ما اتفق؛ فلذلك يرى الإنسان كأنه يطير وليس بطائر، وإنما يرى صورة الطيران مفردة كما يعلمها إذ غابت؛ ولكن فكرته فيها تقوى حتى كأنها معاينة له، فأما ما يراه النائم من الأشياء التي تدل على ما يريد فإنما ذلك لأن النفس عالمة بالصور، فإذا خلصت في المنام من شوائب الأجسام أشرفت على ما تريد أن ينالها، وهي عالمة أنها في حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل خيالات تدل بها على تلك الأشياء التي تريد أن تكون، حتى إذا انتبهت تذكرت تلك الخيالات وتلك الأشياء؛ فمن كانت نفسه صافية لم تَكَدْ رؤياه تكذب ومن كانت نفسه كدرة كانت تكذب كثيراً، ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مَرَاتبها من الصفاء والكدَر يكون صدق ما تخيلته وكذبه."

ومع كل هذا الاهتمام المفرط بالرؤيا والتقصَي الدقيق لإخبارها الا اننا لا نجد في كتب التاريخ ما يتناسب مع ذلك الاهتمام، اللهم سوى روايات هنا وهناك ارتبطت بإحداث جسام جاءت فيها الرؤيا كممهد لها، وهذه الرؤى على قلتها ترشدنا الى امرين الاول: هو الفلسفة الخاصة التي اتبعها مؤرخو تلك العصور بدمج الرؤيا مع الحدث وجعلها مؤشراً على بداية قيامه، وهذا ما يشد انتباه السامع والقارئ على حدٍ سواء من خلال تفريغ الذهن وترك مساحة مناسبة لتلقي الخبر التاريخي الذي مهَدت له الرؤيا، وهي تقنية ناجحة لتلقي الخبر وحفظه بعيداً عن ضوضاء الاحداث التاريخية الاقل اثارة، والثاني: هو مدى اهمية تلك الرؤى للباحثين للتعرف على الاطار العام لثقافة المجتمع الذي هو موضع البحث. وعلى هذا الاساس يمكنا مناقشة وتقييم واستقراء الرؤى التي وردت في مصادر التاريخ الخاصة بالمدَة الزمنية التي هي موضع الدراسة للوقوف على الاتجاهات الثقافية العامة للمجتمع من جهة، ومدى تأثيرها في كل طبقه من طبقاته من جهة اخرى.

الرؤيا وقيام الملك (الرؤى التبشيرية):

يندرج تحت هذا العنوان مجموعة متواضعة من الرؤى تناقلتها المصادر والتي دلَت على التبشير بقيام الملك، لذا فقد ارتبطت تلك الرؤى بأحداث جسام رسمت المسارات العامة للتاريخ ثم تفرَعت عنها احداثاً اخرى اقل اهمية، وأول تلك الاحداث ما جرى في مطلع القرن الرابع الهجري حيث ظهر على مسرح الاحداث ثلاث اخوة تمكنوا من شق طريقهم الى الزعامة من خلال تقلَب وللآتهم بين مجموعة من الامراء المتنازعين على السلطة في خراسان وما جاورها، وهؤلاء الاخوة قُدَر لهم ان يؤسسوا دولة رديفة (الدولة البويهية) داخل جسم الدولة العباسية التي ظهرت عليها علامات الضعف والاضمحلال، فقد أورد ابن الاثير رواية(٤) عن بداية ظهور تلك الدولة(٥) قال فيها: " قال شهريار بن رستم(٦): كان أبو شجاع

بن بويه في مبدأ أمره صديقاً لي فدخلت عليه يوماً وقد ماتت زوجته أم اولاده الثلاثة الذين تملكوا البلاد وقد أشتد حزن ابو شجاع على زوجته فعزيته وسكّنت قلقه ونقلته الى منزلي وأحضرت له طعاماً وجمعت اليه اولاده الثلاثة فبينما هم عندي اذ مرَ بالباب شخص يقول: المنجم المعزم مفسَر المنامات كاتب الرقي والطلسمات، فاستدعاه ابو شجاع وقال له: لقد رأيت البارحة رؤيا ففسرها لي، كأني أبول فتخرج مكني نار عظيمة ثم انها استطالت وعلت حتى كانت تبلغ السماء ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب وتولَد من تلك الشعب عدة شعب فأضاءت الدنيا بتلك النيران . فقال المنجم: هذا منام عظيم ولا أفسره الا بخلعة وفرس فقال له ابو شجاع: والله ما املك الا الثياب التي على جسدي وان اعطيتك اياها بقيت عريانا. فلم يزل به حتى أعطاه شيئاً يسيراً. فقال له المنجَم: اعلم انه يكون لك ثلاثة اولاد يملكون الارض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار و يولدهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب المتفرَقة. فقال له بويه : اما تستحي تسخر بنا ..."

ومن خلال هذه الرواية نستطيع الوقوف على مقدار الشحذ النفسي الهائل والاعداد المصيري المسبق الذي تلاقاه ابناء بويه بهذه الرؤيا التي يبدو ان اباهم صدَق تأويلها فيما بعد، ليس هذا وحسب بل ان خبرها ذاع بين العامة فعزز قناعتهم بأن اقبال الدنيا لابد له من رؤيا تسبقه وتدلَ عليه كما حدث مع بويه الذي لم يكن يملك قوت يومه ثم صار اولاده فيما بعد اصحاب دولة، لذا فقد ساهمت هذه الرؤيا مثل غيرها من الرؤى الى حد كبير بتعزيز ثقة جميع طبقات المجتمع ووفرت لهم الدليل الدامغ على امكانية تبدَل الحال من العسر الى اليسر ولا يتطلب الامر سوى رؤيا الله وحده يعلم متى تراود متلقيها، كما صار تعبيرها مهنة تزاول تدرَ على اصحابها دخلاً يتناسب طردياً مع رؤيا الرائي، الا ان هناك جانب انعكاسي سلبي لتلك الرؤى، فهي ببساطة تنزع من قلوب الرعيَة روح الثورة على السلطة بسبب سوء الاوضاع العامة وتستبدلها بوهم غيبي زائف لا يمكن لاحد ان يستفيق من سكرته، ولعل السلطات المتعاقبة كانت على علم بذلك فاستغلته بشكل يتناسب مع ذلك المطلب ولكن يضيق بنا المقام لذكره.

وهناك رواية أخرى تتشابه الى حد بعيد مع رواية ابن الاثير السابقة وهي الرواية التي ذكرها اليونيني(٧) حيث قال فيها:" حكى لي في غرة شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة ببعلبك قال حدثني المولى تاج الدين أحمد بن الأثير الحلبي ما معناه أن الملك الناصر صلاح الدين يوسف لما كان مقيماً على برزة في أواخر سنة سبع وخمسين وستمائة وصله قصاد من مصر بكتب يخبرونه فيها أن قطز تسلطن بالديار المصرية وقبض على ابن أستاذه قال تاج الدين فطلبني السلطان فقرأت عليه الكتب وقال لي خذ هذه الكتب ورح بها إلى الأمير ناصر الدين القيمري والأمير جمال الدين يغمور وأوقف كلاً منهما عليها قال فأخذتها فخرجت فلما بعدت عن الدهليز لقيني حسام الدين البركة خاني فسلم علي وقال جاءكم بريد أو قصاد من الديار المصرية فوريت عنه فقلت ما عندي علم بشيء من هذا قال قطز تسلطن وتملك الديار المصرية ويكسر التتر قال المولى تاج الدين فبقيت متعجبا من حديثه فقلت أيش هذا القول ومن أين لك هذا القول قال والله هذا قطز هو خشداشي(٨) كنت أنا وأياه عند الهيجاوي من أمراء مصر ونحن صبيان وكان عليه قمل كثير فكنت أسرح رأسه على أنني كلما أخذت منه قملة أخذ منه فلساً أو صفعته فلما كان في بعض الأيام أخذت عنه قملاً كثيراً وشرعت أصفعه ثم قلت في غضون ذلك والله ما أشتهي إلا أن الله يرزقني أمرة خمسين فارساً فقال لي طيب خاطرك أنا أعطيك إمرة خمسين فارساً قال فصفعته وقلت مالك أنت تعطيني إمرة خمسين قال نعم فصفعته فقال لي والك علة أيش يلزم لك إلا إمرة خمسين فارساً أنا والله أعطيك قلت و كيف تعطيني قال أنا أملك الديار المصرية فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي أنت تملك الديار المصرية وتكسر التتر وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا شك فيه قال فسكت وكنت أعرف منه الصدق في حديثه وعدم الكذب وتنقلت به الأحوال وارتفع شأنه إلى أن صار هو المتحكم في الدولة وما أشك أنه يملك الديار المصرية ويكسر التتر كما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم

في المنام قال المولى تاج الدين فلما قال لي هذا قلت له والله قد وردت الأخبار أنه تسلطن في الديار المصرية قال لي والله يكسر التتر فما مضى عن هذا الأمر إلا مدة يسيرة حتى خرج وكسر التتر على ما تقدم ذكره قال المولى تاج الدين رحمه الله فرأيت حسام الدين البركة خاني الحاكي لي ذلك بالديار المصرية بعد كسرة التتر فسلم علي وقال يا مولانا تاج الدين تذكر ما قلت لك في الوقت الفلاني قلت نعم قال والله حال ما عاد الملك الناصر من قطيا ودخلت أنا الديار المصرية أعطاني إمرة خمسين فارساً كما قال رحمه الله لا زائداً على ذلك قال المولى تاج الدين فتعجبت من هذه الصورة ".

ولمناقشة هذه الرواية التي بدت مطابقة لرواية ظهور اولاد بويه التي اوردها ابن الاثير علينا التفكير بعقلية ذاك الزمان الذي انعدمت فيه معايير المقارنة العصرية بين الافراد سوى بما يمتلكه كل فرد من قوة جسمانية وشيء من التكتيك العسكري الناجح واقتناص الفرص، وهي بالعادة ملكات فطرية يتناقلها البشر عبر اجيالهم المتعاقبة، لكنها بالعادة قوى كامنة تحتاج الى دافع معنوي لا ظهارها وهذا بالضبط ما وفَرته لهم الرؤيا، اذاً فقد كان هناك اطمئنان نفسي لدى المجتمع الاسلامي بشكلٍ عام آنذاك بأن الرؤيا ماهي الا كشف لما ستؤول عليه الاحداث في المستقبل وذلك الاطمئنان او تلك الثقافة انتقلت حتى الى صبيان المماليك الذين كانوا حديثي العهد بالمجتمع الاسلامي وثقافته التي استمات المماليك في الذود عنها، وبمناسبة الحديث عن المماليك من المناسب ان نذكر هنا رؤيا مُثيرة جرت لنائب طرابلس سيف الدين كرت(٩) التي ذكرها العيني بقوله(١٠): " أن سيف الدين كُرت نائب طرابلس قال للأمراء في ذلك اليوم: ها أنا أحمل لعل الله يرزقني الشهادة في هذا اليوم، ثم التفت إلى الأمير جمال الدين قتال السبع وقال: يا أمير وصيتي لك على أهل بيتي، فإني والله ممن يُستشهد في هذا اليوم، فإني رأيت رؤيا تدل على الشهادة: رأيت في هذه الليلة طائر أخضر يرفرف على رأسي ويقول لي: أتل (ربنا لا تزغ قلوبنا) الآية. فتلوتها إلى آخرها، ثم حملني على جناحه الأيمن إلى أن وضعني في روضة خضراء، ثم انتبهت، فهذا يدل على الشهادة.

ثم لما صدموا العدو كان هو أول من رمى فرسه بسهام كثيرة، فأصاب سهم منها نحره، فوقع إلى الأرض والسيف بيده مسلول يذب به عن نفسه إلى أن ضرب بسهم فسقط إلى الأرض، وقُتل من مماليكه عليه نحو ستة عشر مملوكاً، وجُرح نحو اثني عشر، وقُتل من عسكر طرابلس في تلك الوقعة ما ينيف على أحد عشر نفساً، وقُتل من كل أمير جماعة من المماليك وجرح آخرون". وهذا دليل آخر يبرهن على مدى التصاق المماليك بتلك الثقافة التي طغت صبغتها على جميع افراد المجتمع الاسلامي آنذاك، وقد انتبه بعض المؤرخين الى هذا الاهتمام الزائد من قبل العامة في امر الرؤيا فدمجوا بين الرؤيا ومستقبل بعض الافراد، وهذا ما فعله ابن الخطيب(١١) بحديثه عن ادريس بن عبد المؤمن الموحدي(١٢) وتعريجه على قصة عبد المؤمن الجد حيث قال ما نصَه:" إدريس بن عبد المؤمن بن علي ...جده عبد المؤمن... كان طالباً بربرياً ضعيفاً، خرج مع عمه يؤم للشرق، وكان رأى رؤيا هالته تدل على ملك، إذ كان صفحته من طعام على ركبتيه، يأكل منها الناس، وكانت أمه رأت وهي حاملٌ، كأن ناراً خرجت منها أحرقت المشرق والمغرب، فكانت في نفسه حركة، لأجل هذه الرؤيا، فلما حل بسجلماسة، سمع بها عن المهدي، وكان رجلاً يعرف بأبي عبد الله السوسي، ووصف له بالعلم، فتشوف إلى لقائه، ليرى ما عنده في تأويل رؤياه، فانصرف إليه مع بعض الطلبة، فلقي رجلا قد وسمه، على ما يزعم الناس، حدثان من أبي حامد الغزالي، وعلقت به دعوة منه، في إذهاب ملك أهل اللثام، لحرق كتابه على أيديهم، فهو مغري بالخروج عليهم، مهيأ في عالم الغيب إلى تخريب دعوتهم، فوافق شن طبقه وما اجتمع الداآن إلا ليقتتلا، والله غالب على أمره. فأجلسه، وسأله عن اسمه، وبلده وسنه، ونسبه، بالتعريف، وأمره أن يخفي من أمره، وعبر له رؤياه، بأنه يملك الأرض، فاهتزت الآمال وتعاضدت، ونفذت مشيئة الله، بأن دالت الدولة، وهلك محمد بن تومرت المهدي، فأفضى الأمر إلى عبد المؤمن ".

ومحل الشاهد هنا هو قوله(كان بنفسه حركة لأجل هذه الرؤيا) اي ان رؤياه تلك ورؤيا امه من قبل قامتا بإعداده اعداداً نفسياً هائلاً قبل وثوبه على السلطة بكثير، لذا بإمكاننا القول أن الرؤيا عملت كمحرك اساس دفع بالأحداث التاريخية الى الظهور بما هي عليه الآن. ولعلَ هناك من يحتجَ على ذلك مدعيَاً باحتمال ان تكون تلك الرؤى ملفقة والغرض منها هو عدم اعتراض المنافسين على نبوغ شخص منهم تكون له الزعامة والرياسة من دونهم، وهذا لا يحتاج الآ لعرض مقنع وانتشاراً بين العامة حتى تنطلي الخدعة على الجميع، وهيَ وجهة نظر قريبة جداً للواقع ولا نختلف معها لكونها تقودنا أيضا الى التأكيد على ان للرؤيا تأثير جازم على تفكير العامة ومن ثم على مجريات الاحداث بحيث يتم لكل شخص ان يدحض حجة منافسيه واظهار نفسه بانه هو الشخص المختار والمنصوص عليه غيبياً دون ان يرافق ذلك الكثير من الصخب أو الضجيج الذي غالباً ما يرافق انتقال السلطة، ولعل هذا ما عمد اليه غلمان الآمر لأحكام الله الفاطمي(١٣) لتنصيب خلفاً له من ولده بعد مقتل الاب لكي لا يخرج الامر من أيديهم، فقد ذكر المقريزي رواية(١٤) قال فيها: " ولما قتل النزارية الآمر كان كبار غلمانه العادل بزغش وهزار الملوك جوامرد، وينعت بالأفضل، فعمدا إلى الأمير أبي الميمون عبد المجيد، وكان أكبر الجماعة الأقارب سنا، فتحيلا بان قالا: إن الخليفة المنتقل قال قبل وفاته بأسبوع عن نفسه: المسكين المقتول بالسكين؛ وأشار إلى أن الجهة الفلانية حامل منه، وأنه رأى رؤيا تدل أنها ستلد ولداً ذكرا وهو الخليفة من بعده وأن كفالته للأمير عبد المجيد أبي الميمون. فجلس المذكور كفيلاً، ونعت بالحافظ لدين الله ". وقد علَق ابن التغري بردي على تلك الحادثة بقوله(١٥) " قلت: ولم يذكر هذا المؤرخ أمر أحمد الوزير، ولا ما وقع له مع الحافظ، وهو أجدر بأخبار الفاطميين من غيره. ولعله حذف ذلك لكونه كان في أول الأمر والله أعلم". لذا فهذه اشارة واضحة على ان غلمان الآمر تدخَلوا بكل ثقلهم حتى لا ينحسر السلطان عنهم وينتقل الى جهة أُخرى لا تنسجم مع توجهاتهم التي اعتادوا عليها خلال مدة حكم الآمر الطويلة نسبيا، فانتحلوا لأجل ذلك رؤيا لم تكن موجودة اصلاً حتى يتم لهم ما ارادوا، وهذا بحد ذاته يعد دليلاً دامغاً على المقدار الزائد الذي حظيت به الرؤيا بين عامة طبقات المجتمع حتى يتم الاحتجاج بها في مسألة معقدة جداً كانتقال الملك.

الرؤى التحذيرية:

تختلف هذه الرؤى عن سابقاتها اختلافاً جذرياً في كونها تأتي ضمن سياق خاص لا علاقة له بتأسيس دولة أو قيام ملك، لذا فان هذا النوع من الرؤى يعد اكثر مصداقية من الرؤى السابقة التي كانت عرضةً للتلفيق كما اسلفنا، والغريب في الامر ان هذه الرؤى اصطفَت لتملىء مصادر التاريخ الاولى من رؤى لإفراد عاديين او رجال دين او قادة عسكريين وحتى خلفاء، وهي غالباً ما تأتي برسائل واضحة مفادها الترك بشدة، ليتم بعدها الامتثال لتلك الرسائل، واتباع أوامرها ونواهيها حرفياً، من ذاك ما أورده ابن خلدون في خبرٍ جاء فيه: (١٦) "لما كان السلطان طغرلبك(١٧) قد ثقلت وطأته على العامة ببغداد وفشا الضرر والاذى فيهم من معسكره، فكاتبه القائم(١٨) يعضه ويذكره ويصف له ما الناس فيه، فأجابه السلطان بالاعتذار بكثرة العساكر، ثم رأى رؤيا في ليلته كأن النبي (ص) يوبَخه على ذلك فبعث وزيره عميد الملك(١٩) الى القائم بطاعة أمره وإخراج الجند من وراء العامة ورفع المصادرات". وفي خبرٍ ثانٍ أورده ابن الاثير(٢٠) قال فيه: " ... حكى عنه الكندري أنه قال: رأيت، وأنا بخراسان، في المنام كأنني رفعت إلى السماء، وأنا في ضباب لا أبصر معه شيئاً، غير أني أشم رائحة طيبة، وأنني أنادى: إنك قريب من الباري، جلت قدرته، فاسأل حاجتك لتقضى، فقلت في نفسي: أسأل طول العمر، فقيل: لك سبعون سنة، فقلت: يا رب ما يكفيني، فقيل: لك سبعون سنة، فقلت: يا رب لا يكفيني، فقيل: لك سبعون سنة. فلما مات حسب عميد الملك عمره، على التقريب، فكان سبعين سنة. وكانت مملكته، بحضرة الخلافة، سبع سنين وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً"، لذا فقد امتثل طغرلبك تماماً لرسالة رؤياه وأخرج عساكره عن اهل

بغداد، ولعل العلّة هنا فضلاً عن رؤيته للنبي(ص) هو ان الرجل كان عنده نوعاً من التدين لذا فهو على يقين تام بصدق هذا النوع من الرؤى والدليل على ذلك رؤياه الثانية التي أخبره بها الله (جل وعلا) بمدّة أجله. والذي يعنينا هنا هو اعتقاد قائد عسكري رفيع المستوى كطغرلبك بالرؤيا وانقياده التام لتعليمها يجعلنا ندرك بان الفرد الاول في الدولة ومصدر اتخاذ القرار فيها لم يكن افضل حال عن اي فرد من افراد المجتمع وهذا ما يعطي انطباع عام عما كان عليه المجتمع الاسلامي آنذاك من مستوى ثقافي عام ينقاد بسهولة وراء مسميات غيبية لا يعلم تأويلها الاّ الله.

ولم تكن باقي الطوائف الدينية أفضل حال من المسلمين في التعامل مع تلك الغيبيات، فقد حذا بعض اتباع تلك الطوائف حذو المسلمين في ذلك، فقد أورد ابن الاثير رواية(٢١) في سياق سرده لأحداث سنة ٤٨٨هـ قال فيها:" رأى بعض اليهود بالغرب انهم سيطيرون فأخبر اليهود بذلك فوهبوا أموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا فصاروا اضحوكةً للناس" لذا فنحن لا نرصد ظاهرة اختصّ المسلمون بها دون غيرهم بل هي ثقافة عامة طغت صبغتها على المجتمع بشكل عام بغض النضر عن الدين أو المذهب.

ومن بين اشهر الرؤى التحذيرية التي تناقلتها بعض المصادر التاريخية(٢٢) هي رؤيا للعاضد الفاطمي التي جاء فيها:" رأى العاضد الفاطمي رؤيا في منامه كأن عقرباً خرجت من مسجد بمصر معروفاً لديه فلدغته فاستيقظ مرعوباً واستدعى من يعبّر رؤياه وقصّ عليه فعبّر له بوصول اذى اليه من شخص بذلك المسجد فتقدم العاضد الى والي مصر بإحضار من بذلك المسجد فاحضر له شخصاً صوفياً يقال له نجم الدين الخوبشاني فاستخبره العاضد عن مقدمه وسبب مقامه بالمسجد فاخبره بالصحيح فرآه العاضد اضعف من ان يناله بمكروه فوصله بمال وقال له: ادع لنا يا شيخ وأمره بالانصراف فلما اراد السلطان صلاح الدين ازالة الدولة العلوية والقبض عليهم استفتى في ذلك فأفتاه بذلك جماعة من الفقهاء وكان نجم الدين الخوبشاني من جملتهم فبالغ بالفتيا وصرّح بخطه بتعديد مساويهم وسلب عنهم الايمان وأطال الكلام في ذلك فصحّ بذلك رؤيا العاضد" وهذه الرؤيا وان كانت لم تترك اي اثراً تاريخياً يذكر، الا انها كشفت الى حدٍ بعيد الكيفية التي يتعامل بها المعاصرون من المؤرخين وغيرهم مع الرؤى بحيث قاموا بتقديمها على شكل نبوءة مقدّسة وضعت النهاية للدولة الفاطمية ذات المذهب الديني المخالف، وبمناسبة الحديث عن الدولة الفاطمية التي يبدو انها كانت تتعامل مع العديد من الرؤى الغريبة التي رسمت مسار الدولة العام الامر الذي يترك لدينا انطباعاً عاماً بان تلك الدولة كانت تولي الغيبيات بشكل عام والرؤيا بشكل خاص أهمية كبرى بشكل يجعلنا نشك بان سياستها العامة كانت مبنية بشكل اساس على مبدأ القضاء والقدر الذي يترك الباب مفتوحاً لما تسوقه الاقدار وتقرّه الصدف.

ومن هذه الرؤى رؤيا سردها المقريزي(٢٣) في احداث سنة ثمان وثمانين واربعمائة حيث الفتنة التي وقعت بين الافضل(٢٤) لمحاربته نزار (٢٥) وافتكين(٢٦) فقال فيها: " في آخر المحرم خرج الافضل بعساكره من القاهرة فسار الى الاسكندرية لمحاربة نزار وافتكين... فلما كان في ذي القعدة وقد اشتد الأمر على من بالإسكندرية جمع ابن مصال(٢٧) ماله وفر إلى جهة المغرب في ثلاثين قطعة، يريد بلده لك في برقة من أجل رؤيا رآها، وهي أنه رأى في منامه كأنه قد ركب فرساً وسار والأفضل يمشي في ركابه؛ فقصّ هذه الرؤيا على عابر له فطانة وتمكن في علم التعبير، فقال له الماشي على الأرض أملك لها من الراكب وهذا يدل على أن الأفضل يملك البلاد وكانت الأنفس قد ملت طول الحصار. فلما فر ابن مصال ضعفت نفس نزار و أفتكين وتخوفا ممن حولهما؛ فبعثا إلى الأفضل يسألان الأمان، فأمنهما، وتمكن من البلد. وقبض على نزار و أفتكين...". اي ان هذه الرؤيا كانت سبباً مباشراً لانقلاب نتيجة المعركة. وفي حديثه عن احداث سنة اثنتين واربعين وخمسمائة ذكر رؤيا أخرى قال فيها (٢٨):" وفيها خرج رضوان من ثقب نقبه بالقصر. وذلك أن الحافظ لما اعتقله بالقصر أرسل يسأله في أشياء، من

جملتها زيارة نجم الدين بن مصال له في الوقت بعد الوقت، فأجابه إلى ذلك لثقته بابن مصال. فحضر في يوم من الأيام ابن مصال لخدمة الخليفة، وبدأ بزيارة رضوان، فدخل إليه ومعه مشدة فيها رقاع بجوائج الناس ليعرضها على الحافظ، وكانت عادته ذلك؛ فاحتاج إلى الخلاء، فترك مشدته عند رشوان ودخل الخلاء. فأخذ رضوان الرقاع ووقع بخطه عليها كلها بما يسوغ التوقيع به، وأتر بها وطواها في المشدة. وخرج ابن مصال فأخذها ودخل على الحافظ، وقد علم أنه كان عند رضوان، فقال له: كيف ضيفنا ؟ فقال: على غاية من الشكر لنعمة مولانا وجواره. وأخرج رقعةً من تلك الرقاع ليعرضها على الخليفة فوجد عليها التوقيع بخط رضوان، فأمسكها وأخرج غيرها، فإذا هي موقع عليها أيضاً. وكان الحافظ يراه، فقال: ما هذا ؟ فاستحيا ابن مصال عندما تداول الخليفة الرقاع وعليها توقيع رضوان. فقال له الحافظ: يا نجم الدين، ما زلت مباركاً علينا والله يشكر لك ذلك؛ لقد فرجت عنا غمة. فقال: كيف يا مولانا قال: رأيت البارحة رؤياً مقتضاها أنه ربما يشركنا في كثير من أمرنا؛ فالحمد لله إذ كان هذا. وكتب على الرقاع أمضاها بخطه، وخلع على ابن مصال. فلما طال اعتقال رضوان أخذ ينقب بحيث لا يعلم به إلى أن انتهى النقب من موضعه الذي هو فيه إلى تجاه فندق أبي الهيجاء، وخرج النقب عن سور القصر. وكان قياس ما نقبه خمسةً وثلاثين ذراعاً، فظهر منه بكرة يوم الثلاثاء، ثالث عشري ذي القعدة، في الجيزة، فالتف عليه جماعة من لواتة وعدة من الأجناد؛ وسمع به الطماعون، وكان للناس فيه أهوية فندم الحافظ على تركه بغير حارس".

ان مجرد التمعَن بتلك الرؤى وربطها بالآثار التي تركتها يعد امراً غايةً بالغرابة، فالانقياد التام لإشاراتها والتسليم المطلق بنتائجها يجعلنا نجزم باننا نقف امام مجتمع امتزجت فيه القيم الدينية بأسرار النفس البشرية فأنتجا مزيجاً من العادات والتقاليد المقدسة التي لا سبيل لتكذيبها او التشكيك فيها، وقد يكون وراء ذلك مجموعة من الروات الذين ارادوا لمروياتهم ان تكون على قدر من الاهميَة والتشويق للسامع و القارئ على حدٍ سواء فلجئوا الى تطعيم تلك المرويات ببعض المقدمات الغيبية التي كانت رائجة آنذاك، لكن هذا ليس كل شيء ففي الحقيقة كانت هناك رؤى يقف امامها العقل حائراً دون ان يجد لها تأويل أو تفسير بسبب صدق رسائلها وانطباقها مع الواقع بشكل لا يصدَق من بينها رؤيا ذكرها ابن الاثير(٢٩) في احداث سنة تسع وسبعين وثلاثمائة في معرض حديثه عن هروب القادر بالله(٣٠) من الطائع لله(٣١) الى البطيحة(٣٢) ليحتمي فيها حيث قال ما نصَه: "... وكان سبب ذلك أن إسحاق بن المقتدر والد القادر لما توفي جرى بين القادر وبين أخت له منازعة في ضيعة وطال الأمر بينهما. ثم إن الطائع لله مرض مرضاً أشفى منه، ثم أبل، فسعت إليه بأخيه القادر وقالت له: إنه شرع في طلب الخلافة عند مرضك؛ فتغير رأيه فيه، فأنفذ أبا الحسن بن النعمان وغيره للقبض عليه، وكان بالحريم الطاهري، فأصعدوا في الماء إليه. وكان القادر قد رأى في منامه كأن رجلاً يقرأ عليه: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيل) (٣٣) فهو يحكي هذا المنام لأهله ويقول: أنا خائف من طالب يطلبني؛ ووصل أصحاب الطائع لله إليه واستدعوه، فأراد لبس ثيابه، فلم يمكنوه من مفارقتهم، فأخذه النساء منهم قهراً، وخرج عن داره واستتر، ثم سار إلى البطيحة، فنزل على مهذب الدولة، فأكرم نزله، ووسع عليه، وحفظه، وبالغ في خدمته، ولم يزل عنده إلى أن أتته الخلافة، فلما وليها جعل علامته: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ). ولا شك ان مثل هذه الرؤيا قد تركت اثراً كبيراً في نفس القادر حتى انه أظهرها لما صار خليفةً فيما بعد، ولعلها وفرت له نوعاً من الدعاية السياسية التي استغلها ضد خصومه كونه خليفة للمسلمين تم اختياره من السماء وان رؤياه رؤيا مقدَسة، وهذا بالضبط ما لجأ اليه اجداده في استغلال الرؤيا لإقناع العامة بمشروعية حكمهم(٣٤)، ولعل هذا ما يفسَر سبب طول مدة خلافته التي كانت اطول نسبياً من خلافة من سبقه او تأخر عنه من خلفاء بني العباس فيما سبق لذا فان اعتقاد العامة الذين هم على قدرٍ محدود من الثقافة لم يأتِ عن فراغ وانما قام

رؤيا أهل البيت في المنام:

تواترت الروايات التاريخية التي تحدثت عن الرؤى المقترنة بشخصية من شخصيات اهل البيت (ع)(٣٥) والتي أختصَ بها اشخاص مسلمون من فرق مذهبية شتى ولكن من غير الشيعة، والتي تُعد بالعموم فرق نافرة عن أهل البيت، وهذا شيء مُلفت يمكننا تعليله بسببين الاول: داخلي وهو اقتناع اغلب طبقات المجتمع الاسلامي واتباع مذاهبه ان اهل البيت وهم أكثر الناس التصاقا بالنبي(ص) واشبه الخلق به علماً ومنطقاً وكياسة، لذا فلا فرق بين أي منهم وبين النبي(ص) من حيث القداسة لمن زاروه في رؤياه أي ان الرؤيا التي تشتمل على أي شخصية من شخصيات اهل البيت يتم التعامل معها على انها رؤيا مقدَسة وبالتالي فهي ضرب من ضروب الغيب، والثاني: خارجي ولعله مكمَل للسبب الاول وهو ان الله اراد لمن خصَه بهذه الرؤيا ان يهديه سبيل الخلاص لكون اهل البيت ما هم الا رحمة للعالمين، وأياً كان السبب فقد تم التعامل مع تلك الرؤى على انها رؤى مقدَسة سواءً كان من قبل الرائي أو الراوي الذي قام بتقديمها على انها مقدمة لحدث مهم لترك مساحة تتناسب مع حجم ذلك الحدث في ذهن السامع أو القارئ لشدَهم بقوة لمعرفة باقي الرواية التي تقدَمتها تلك الرؤى.

أورد ابن الاثير رواية(٣٦) قريبة من ذلك المقصد فقال في معرض حديثه عن محمود بن سبكتكين(٣٧)ما نصَه:"... و جدد عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر علي بن موسى الرضا، والرشيد، وأحسن عمارته، وكان أبوه سبكتكين أخربه، وكان أهل طوس يؤذون من يزوره، فمنعهم عن ذلك، وكان سبب فعله أنه رأى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام، في المنام وهو يقول له: إلى متى هذا؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد، فأمر بعمارته". لذا فان رؤيا شخص علي بن ابي طالب(ع) في المنام كان كافياً لإضفاء صبغة شرعية مقدَسة على تلك الرؤيا التي تأمره ببناء ضريح لأحد احفاد الامام علي(ع) وهو الامام الرضا(ع).

ثم اورد ابن الاثير رواية أخرى(٣٨) في معرض حديثه عن احداث ستة خمسمائة تخص قتل فخر الملك(٣٩) بن نظام الملك حيث قال ما نصَه: " في هذه السنة قتل فخر الملك أبو المظفر علي بن نظام الملك، يوم عاشوراء، وكان أكبر أولاده، وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركيارق، فلما فارق وزارته قصد نيسابور، وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه، ووزر له، وأصبح يوم عاشوراء صائماً، وقال لأصحابه: رأيت الليلة في المنام الحسين بن علي، عليه السلام ، وهو يقول: عجل إلينا، وليكن إفطارك عندنا، وقد اشتغل فكري به، ولا محيد عن قضاء الله وقدره! وقالوا: يحميك الله، والصواب أن لا تخرج اليوم والليلة من دارك، فأقام يومه يصلي، ويقرأ القرآن، وتصدق بشيء كثير. فلما كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء، فسمع صياح متظلم، شديد الحرقة، وهو يقول: ذهب المسلمون، فلم يبق من يكشف مظلمة، ولا يأخذ بيد ملهوف! فأحضره عنده، رحمة له، فحضر فقال: ما حالك؟ فدفع إليه رقعة، فبينما فخر الملك يتأملها إذ ضربه بسكين فقضى عليه، فمات..." وعلى الرغم من اختلاف مواضيع هاتين الرؤيتين الا ان كلتاهما تشير الى وجود توجيه خارجي جاء على لسان فرد من ال البيت(ع) بغض النظر عن ذلك التوجيه وهذا يشير بوضوح الى ان جميع طبقات المجتمع كانت على يقين بصحة رسائل الرؤى التي تأتي مقرونة بمشاهدة أمام من ائمة اهل البيت(ع) هذا من جانب، ومن جانب آخر فان ابن الاثير وهو من مؤرخي ذلك العصر وفي نفس الوقت احد مثقفيه قد قام بدمج تلك الرؤى مع بقية الرواية حتى بدا الاثنان كخبرٍ واحد بشكل يدلل بشكل جلي على ان منهجيته استعانت بالجانب الغيبي لإظهار الخبر التاريخي بشكل مقنع للسامع أو القارئ.

اما البيهقي فقد نحى منحى آخر في هذا الصدد، فعلى الرغم من ايراده روايتين بخصوص هذا المعنى فقال في الاولى(٤٠) عند ترجمته لاحد افراد السادة الاشراف في خراسان ما نصَه :"السيد الأجل

أبو الحسين محمد بن أبي جعفر أحمد بن محمد زبارة بن عبد الله المفقود ابن الحسن المكفوف بن علي الأطهر ابن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما ... وذلك لأن الأمير أبي الحسن نصر بن أحمد أشخص السيد أبو الحسين محمد إلى بخارا ويعرف من تبعه، وكانت مدة تبعه أربعة أشهر، ولقب بالعاضد بالله وخطبوا باسمه في تلك الأيام، فحبسه الأمير نصر بن أحمد الساماني مدة، ثم رأى بسببه رؤيا هائلة، فاعتذر إليه وأطلقه، وأمر بإطلاق ارزاقه كل شهر، ورده مكرماً مبجلاً إلى نيشابور. والسيد الأجل أبو الحسين أول علوي أثبت رزقه بخراسان...". ثم رواية ثانية(٤١) في شرحه لمعنى النقابة فقال فيها:" شرحت معنى النقيب والنقابة في كتاب أزاهر الرياض المريعة من تصنيفي. وأول من سن النقابة وعين نقيباً ومقدماً لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله المقتصد بالله بسبب رؤيا رآها، كما هي مذكورة في الكتب،..."و الملاحظ انه في كلتا الروايتين لم يتطرق الى تلك الرؤى أي بمعنى انه احجم عن تفصيلها ولعلَه ترك ذلك خشية الاطالة اولاً ثم عدم الخوض في مواضيع مألوفة و مكررة على مسامع الناس ثانيا أي انه اراد القول بأن اسلاف السادة وهم ال البيت(ع) كانوا كثيراً ما يزورون من آذوا أحفادهم في مناماتهم ويطلبون منهم الكف عن تلك الافعال وفي نفس الوقت فان المؤلف استدلَ بتلك الرؤى على قدسية ذلك النسب تلك القدسية التي ظلت كعلامة فارقة في أغلب المجتمعات الاسلامية وتتناقلها الاجيال حتى عصرنا الحالي، لذا صار من الواضح لدى العامة ان رؤيا احد افراد اهل البيت (ع) في المنام دليل على قدسية ذلك المنام اولاً ثم الالتزام بفحوى الرسالة التي تأتي على لسانهم والتي غالباً ما تكون اما تحذيراً من خطرٍ داهمٍ لصاحب الرؤيا أو الكف عن التسبب بالأذى لاحد من ذريتهم.

الهوامش والمصادر:

١-ابن خلدون، عبد الرحمن(ت٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : خليل شحاته و سهيل زكار، دار الفكر، ط١،(بيروت-١٩٨١م)٤١١/١ ٤-

٢-المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الانوار، ط١، (بيروت -٢٠٠٩م)،٢٣٨/١

٣--ابن خلدون، نفسه٤١١/١ ٤

٤-ابن الاثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١(،٠بيروت - ١٩٩٧م)٦/٧

٥- عن بداية هذه الدولة ينظر: الأعظمي، علي ظريف، تاريخ الدول الفارسية في العراق، مؤسسة هنداوي،(دت-٢٠١٧م)ص٤٣

٦- لم أعثر له على ترجمة، ولم يذكر له ابن الاثير غير هذه الرواية.

٧- قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد(ت٧٢٦هـ)،ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الاسلامي، ط١(القاهرة-١٩٩٢م)٣١/٢

٨-الخُشداش: كلمة مركَبة تركية تتكون من مقطعين "الخو" وهي مختصر الخواجه ومعناها السيد، و"تاش" تعني المشاركة، واصطلاحاً تدل على الرفيق في الخدمة، والخشداشية تعني مجموعة من المماليك الذين نشأوا عند سيد واحد، وتعد من اقوى الروابط لدى المماليك كافة. انظر: ملتقى المؤرخين اليمنيين، العدد١٠٨٧في ٢٠٢١/١٠/١٧

٩- كان من الأمراء الأعيان الفرسان الشجعان شغل منصب نائب الامير سيف الدين قطلوبغ على طرابلس وما تبعها، وكان كثير الصدقة والخير والمعروف، وله أوقاف على وجوه البر والصدقات، كما كان مشهوراً بالنخوة والمروءة، وقد تدرَج بالمناصب فعمل حاجباً، ومشرف على اسطبل السلطان(أمير آخور)، ثم نائب طرابلس، قتل يوم الأربعاء في الثامن والعشرين من ربيع الأول من سنة ٦٩٩هـ . انظر: العيني، بدر الدين محمود(ت٨٥٥هـ)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق: محمود رزاق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة- ٢٠١٠م) ٤٩/٢

١٠- نفسه،٥٠/٢

١١- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الغرناطي الاندلسي(ت٧٧٦هـ)،الاحاطة في اخبار غرناطة، دار الكتب العلمية،ط١،(بيروت١٤٢٤هـ)٢٢٢/١

١٢- هو إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين الملقب بالمأمون، ولم أعثر له على ترجمة مستقلة فيما تيسر لي من مصادر وانما جاءت ترجمته مندرجة مع ترجمة ولده مأمون. أنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله(ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث،(بيروت-٢٠٠٠م)١٦٦/١٩-١٦٧

١٣- اسمه منصور، وكنيته أبو علي، ولقبه الآمر بأحكام الله بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله العبيدي الفاطمي، السابع من خلفاء مصر من بني عبيد والعاشر منهم ممن ملك بالمغرب. ولد في أول سنة تسعين وأربعمائة، واستخلف وله خمس سنين، وبقي في الملك تسعاً وعشرين سنة وتسعة أشهر ولي الآمر وهو صبي وكان مدبر سلطانه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش. فلما كبر قتل الأفضل وأقام في الوزارة المأمون أبا عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحي، فظلم وأساء السيرة إلى أن قبض عليه الأمر سنة تسع عشرة وخمسمائة، وصادر املاكه ثم قتله وصلبه في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، خرج من القاهرة يوماً في ذي القعدة وعدى على الجسر إلى الجزيرة، فكمن له قوم بالسلاح. فلما عبر نزلوا عليه بأسيافهم، وكان في طائفة يسيرة، فردوه إلى القصر وهو مثخن بالجراح، فهلك من غير عقب. ابن التغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، (مصر-دت)٥/ ١٧٠

١٤-اتعاظ الحنفا بإخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي ،المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية،ط١(القاهرة-دت) ٣/ ٣٧١

١٥- ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، (مصر-دت)، ٢٤٠/٥-٢٤١

١٦- المقدمة، المصدر السابق، ٥٧٠/٣

١٧-هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق ابو طالب الملقب ركن الدين اول ملوك الدولة السلجوقية التي اقيمت سنة ٤٢٩هـ كان حليماً ضابطاً لما يتولاه ديناً، وهو الذي ردَ ملك بني العباس بعد ان كان اضمحل في العراق بعد ان خُطب للفاطميين في بغداد من قبل البساسيري، خطب ابنة القائم بأمر الله فزوجه بها، توفي بالري ومدة ملكه ٢٥ او ٣٠ سنة. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس(ت١٣٩٦هـ)، الاعلام، دار العلم للملايين،ط٥،(دم-٢٠٠٢م) ١٢٠/٧-١٢١

١٨-القائم بأمر الله الخليفة أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر جعفر العباسي البغدادي. ولد سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة في نصف ذي القعدة، وأمه بدر الدجى الارمنية، وقيل قطر الندى بقيت إلى أثناء خلافته وكان مليحا وسيما أبيض بحمرة، قوي النفس، دينا ورعا متصدقا. له

يد في الكتابة والادب، وفيه عدل وسماحة. بويع يوم موت أبيه بعهد له منه في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة. وأبوه هو الذي لقبه. توفي القائم في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربع مئة، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١(دم-١٩٨٥م)، ١٨/ ٣٠٧

١٩-ابو نصر محمد بن منصور بن محمد الوزير الكبير عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك ومن بعده لألب ارسلان ، كان احد رجال الدهر سؤدداً وجوداً وشهامة وكتابة وكندر من قرى نيسابور ولد بها سنة خمس عشر واربع مائة، كان يؤذي الشافعية ويبالغ في الانتصار لمذهب ابي حنيفة، قتل بمرو الروذ في ذي الحجة سنة ست وخمسين واربع مائة وله اثنتان واربعون سنة. انظر: الذهبي، المصدر السابق ١١٣/١٨-١١٤

٢٠- الذهبي، نفسه، ١٨٣/٨

٢١- نفسه،٨/ ٣٨٤

٢٢-ابن شدَاد، ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الاسدي الموصلي(ت٦٣٢هـ)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية(سيرة صلاح الدين الايوبي)، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط٢،(القاهرة-١٩٩٤م)،١/١ ؛ ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب الملك المؤيد صاحب حماة(ت٧٣٢هـ)،المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية،ط١،(دم-دت)، ٥١/٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ٣٣٠/٣

٢٣- المقريزي، نفسه،٣ /١٤

٢٤- هو الافضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القاسم ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني. كان بدر هو الكل، وكان المستنصر مقهوراً معه، وتوفي سنة اربعمئة و ثمانين. فلما مات قام الأفضل مقام أبيه، كان داهية شهماً مهيباً كأبيه، فحل الرأي جيد السياسة، اقام في الخلافة الآمر ولد المستعلي بعد موت ابيه المستعلي ودبَر دولته، لكنه حجر عليه ومنعه من شهواته، فحمله ذلك على قتله، فأوثب عليه جماعة وكان يسكن بمصر فلما ركب من داره وثبوا عليه فقتلوه في سلخ رمضان سنة٥١٥هـ. انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط٢،(بيروت-١٤١٣هـ)، ٣٨٥/٣٥-٣٨٦

٢٥- هو نزار بن المستنصر بالله معد بن الظاهر عليّ بن الحاكم العُبيدي(تاريخ الاسلام) ولد سنة تسع وثلاثين واربع مئة(تاريخ الاسلام) ويعده النزارية هو الامام المستور واليه تنسب الدعوة النِّزاريّة التي كانت في حدود الثمانين وأربعمائة. انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ٣٢٦/٤١

٢٦- أفتكين هو ناصر الدولة أفتكين التركي أحد مماليك امير الجيوش وابرز القيادات العسكرية في الدولة الفاطمية بعد سيده بدر الدين الجمالي والد الافضل و قيل انه مولى للخليفة المستنصر الفاطمي . كان والياً على الاسكندرية، عند تولي الخليفة المستعلي بن المستنصر الفاطمي الخلافة. بايع أفتكين نزار بن المستنصر نكاية بالأفضل لسوء معاملته له وقيل بل طمعاً بالوزارة التي وعده بها نزار، وبعد حروب تمكن منه الافضل سنة ٤٨٨هـ فأسره واقتاده الى القاهرة فقتله المستعلي بيده. انظر: ابن التغر بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق،١٤٣/٥-١٤٤

٢٧- هو نجم الدين سليم بن مصّال اللكي المغربي، استوزره الخليفة الظافر الفاطمي حيث كان ابن مصّال من كبار أمراء دولته فأحسن السيرة والسياسة، ثم اضطربت الامور واختلف العساكر حتى غلب عليه ابن السلار، فعدى ابن مصال الى الجيزة في سنة أربع وأربعين، عندما سمع بقدوم ابن السلار من ولاية الاسكندرية طالباً الوزارة ليأخذها بالقهر. فدخل ابن السلار القاهرة، وغلب على الأمور، وتولى تدبير المملكة. ونُعت بالعادل أمير الجيوش. فحشر ابن مصّال وجمع عسكراً من

المغاربة وغيرهم، وأقبل، فجرّد ابن السلار لحربه جيشاً، فالتقوا، فكُسر ابن مصّال بدلاص من الوجه القبلي، وقُتل، وأُخذ رأسه ودُخل به القاهرة على رُمح في ذي القعدة من السنة ٥٤٤هـ وأقام الظافر ابن مصال وزيراً مدة شهرين وقيل ٤٠ يوما. انظر: ابن الاثير، المصدر السابق،١٦٩/٩؛ ابن التغربردي، المصدرالسابق،٢٩٨/٥

٢٨-المقريزي، المصدرنفسه،١٨٢/٣-١٨٣

٢٩-ابن الاثير، المصدر نفسه، ٤٣٠/٧

٣٠-هو احمد بن اسحاق بن المقتدر بالله، بويع له بالخلافة وهو بعد بالبطائح في يوم السبت تاسع عشر شعبان سنة٣٨١هـ ، كان زاهداً ورعاً لا يشرب الخمر ولا يظلم احداً، دام له الامر احدى واربعين سنة وبضعة اشهر، توفي في ذي الحجة من سنة اربعمئة واثنان وعشرون وعمره سبع وثمانون سنة. انظر: ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد(ت٥٨٠هـ)، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط١، دار الأفاق العربية، (القاهرة-٢٠٠١م) ص ١٨٣

٣١- هو عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل العباسي. ويكنى: أبا بكر، وأمه أم ولد، اسمها: عتب، أدركت خلافته، ولى الطائع في اليوم الذي خلع فيه المطيع نفسه، وكان سنه يوم ولي ثمان وأربعين سنة، وقيل: خمسين، ولم يل الأمر أكبر سناً منه، ولا من له أب حي سوى أبي بكر الصديق، والطائع، وكلاهما يكنى: أبا بكر، وكانت دولته أربعاً وعشرين سنة، خلع من الخلافة في شعبان سنة إحدى وثمانين بالقادر بالله، ، وله ثلاث وسبعون سنة، وصلى عليه القادر بالله، ولم يؤذوه، بل بقي مكرماً محترماً في دار ابن عمه القادر بالله إلى أن مات ليلة الفطر من سنة ثلاث وتسعين وشيعه جمع غفير من الأكابر، ورثاه الشريف الرضي بأبيات. انظر: ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٩٢م)،٢٢٥/٤٤.

٣٢- البَطِيحَةُ: بالفتح ثم الكسر وجمعها البطائح والبطيحة والبطحاءُ واحد وتبطح السيلُ إذا اتسع في الأرض. انظر: الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ط٢، دار صادر،(بيروت-١٩٩٥م)،١/ ٤٥٠

٣٣-ال عمران/ ١٧٣

٣٤- الرؤيا وأثرها في حركة التاريخ الاسلامي من(١٣٢-٢٤٨هـ/٧٥٠-٨٤٦م) دراسة تحليلية تاريخية، علي عناد عاشور، مجلة الدراسات المستدامة، العدد الثالث/ ملحق(٢) لسنة٢٠٢٣م -١٤٤٤هـ

٣٥-اختلفت تأويلات المذاهب الاسلامية لهذا المصطلح فمنها ما جعل امهات المؤمنين من جملة اهل البيت وهذا ما عليه اغلب جمهور السنة أي انهم رسموا دائرة عامة شملت كل ما لحق ببيت النبي من نسائه ومواليه فضلاً عن اسرة صهره علي بن ابي طالب(ع)، بينما يرى الشيعة ان المقصود بهذا اللفظ هو دائرة خاصة تشمل (علي وفاطمة والحسن والحسين) أي أهل الكساء فقط، والذي نعنيه هنا هو ما يعتقده الشيعة لا السنة.

٣٦-ابن الاثير، نفسه،٧٣٤/٧

٣٧- كنيته أبو القاسم وتلقَب بيمين الدولة وكنية أبوه أبو منصور، كان أبو منصور صاحب جيش السامانية، ثم استولى عليها بعد وفاة منصور بن نوح، توفي سبكتكين في سنة سبع وثمانين و ثلاثمائة ببلخ، فنازع إسماعيل بن سبكتكين أخاه محموداً فكسره محمود وملك خراسان وزالت على يده دولة سامان، وكان آل سامان قد ملكوا سمرقند وفرغانة وتلك النواحي أكثر من مائة سنة، فقصدهم محمود وقبض عليهم وملك ديارهم وأقام الخطبة للقادر بالله، في هذه السنة، في ربيع الآخر، ومولده يوم

عاشوراء سنة ستين وثلاثمائة. كان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عاقلاً، ديناً، خيراً، عنده علم ومعرفة، وصنف له كثير من الكتب في فنون العلوم، وقصده العلماء من أقطار البلاد، وكان يكرمهم، ويقبل عليهم، ويعظمهم، ويحسن إليهم، وكان عادلاً، كثير الإحسان إلى رعيته والرفق بهم، كثير الغزوات، ملازماً للجهاد، وفتوحه مشهورة مذكورة، وقد ذكرنا منها ما وصل إلينا على بعد الدهر، وفيه ما يستدل به على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد، وقيل إنه توفي أحد عشر صفر من سنة احدى وعشرون واربعمئة، وكان مرضه سوء مزاج وإسهالاً، وبقي كذلك نحو سنتين، وكان قوي النفس لم يضع جنبه في مرضه بل كان يستند إلى مخدته، فأشار عليه الأطباء بالراحة، وكان يجلس للناس بكرة وعشية، فقال: أتريدون أن أعتزل الإمارة؟ فلم يزل كذلك حتى توفي قاعداً . أنظر: ابن الجوزي، نفسه،٢١١/١٥؛ ابن الاثير، نفسه،٧٣٤/٧

٣٨- ابن الاثير ، نفسه، ٥٣٢/٨

٣٩- هو فخر الملك أبو المظفر علي بن نظام الملك، قيل انه كان وزيرا لتتش ثم حبسه ولما هزمه بركيارق ووجده في محبسه اطلقه وكان أخوه مؤيد الملك وزيرا له فمال إليه فخر الدولة بسعاية مجد الملك البارسلانى واستوزره سنة ثمان وثمانين ثم فارق وزارته ولحق بسنجر بن ملك شاه بخراسان فاستوزره، وظل عنده حتى قُتل. انظر: ابن الاثير، المصدر نفسه،٥٣٢/٨؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ٤٤/٥

٤٠- البيهقي، ابو الحسن ظهير الدين علي بن زيد الملقب بابن فندق(ت٥٦٥هـ)، لباب الانساب والالقاب الاعقاب، تحقيق: مهدي رجائي، دار اقرأ، ط١،(دمشق_١٤٢٥هـ)،ص ٤٧

٤١- نفسه، ص١١٥ .